الغار، ثم ما أكرم الله به نَبيَّهُ حينما رأوا نَسْجَ العنكبوت على مدخل المَغارة ؛ فأشعرهم ذلك بأنه لم يَلِجْه والجّ وانصرفوا عنه خائبين :

حتّى تَغَيَّبَ عَنْهُمُ في مَدْخَل ... صَلّى الإلَهُ عليه من مُتَغَيَّبِ
وجَزَاهُ خَيْرَ جَزَاءِ مُرْسَل أُمَّةٍ ... أدّى رسالتَهُ ولم يَتَهَيَّبِ
قالُوا اُطْلُبُوهُ فَوَجّهُوا من رَاكِبٍ ... في مُبْتَغَاهُ وطالِبٍ لَمْ يَرْكَبِ
حتّى إذا قَصَدُوا لِبَابِ مَغَارَةٍ ... أَلْفَوْا عَلَيْهِ نَسِيجَ غَزْلِ العَنْكَبِ
صُنْعَ الإلَهِ لَهُ فقالَ فَرِيقُهُمْ : ... ما في المَغارِ لِطالِبٍ من مَطْلَبِ
مِيلُوا فَصَدَّهُمُ المَلِيكُ ومَنْ يُرِدْ ... عنه الدِّفاعَ مَلِيكُهُ لم يَعْطَبِ
حتّى إذا أمِنَ العُيونَ رَمَتْ به ... خُوصُ الرِّكابِ إلى مَدِينَةِ يَثْرِبِ
فاحْتَلَّ دارَ كَرَامَةٍ في مَعْشَرٍ ... آوَوْهُ في سَعَةِ المَحَلِّ الأَرْحَبِ[1]

ولعلَّ ما سُقْناهُ من أبيات السَّيِّد الحِميري من أولى المُحاوَلات لنَظْم أجزاء من السِّيرة النَّبويَّة شعراً ، لولا أن الهدف الأساسيَّ الذي كان يَتَوَخّاه الشّاعر لم يكن الحديثَ عن سيرة الرَّسول ﷺ ، وإنما عن مناقِب عليّ بن أبي طالب (رضه) . ويُلاحظ في كلامه عن هجرة الرَّسول أنه تجاهل تماماً صُحبةَ أبي بكر (رضه) للرَّسول في الغار ، فشاعرُنا كان من غُلاة الشّيعة ؛ ولهذا فقد كان كثيراً ما يتعرَّض في شعره للطَّعْن على كِبار الصَّحابة ، مثل أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وبني أميَّة . ولاشكَّ في أن هذا هو السَّببُ في ضَياع كثير من شعره .

ويبدو الاتّجاه القَصَصيُّ في شعر السَّيِّد في هذه الأبيات التي ينظم فيها خبر ركوب الحسن والحسين ظهر الرَّسول ﷺ وهو ساجد ، وترفُّقه بهما حتى نزلا ، وكان عمرُ (رضه) من حُضور هذا المشهد فقال : « نِعْمَ المَطِيُّ مطِيُّكُمَا .»

---

(١) الديوان ، ص ٩٦–١٠٠ ، وشرح القصيدة المذهبة ، ص ١٢٧–١٣٠ ، يتهيَّب : يخاف ويفزع ، ويَعْطَب : يَهلِكُ .